مكانة القدس
في الأديان السماوية

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

تتعاقب المؤتمرات ، ويصدر العديد من المقترحات والتوصيات حول القدس وفلسطين في حقبة الشطر الثاني من القرن العشرين ، بعد نكبة احتلال الصهاينة لفلسطين في مراحل متلاحقة بدءاً من عام ١٩٤٨م ، ثم التعرض للمأساة الكبرى الأخرى في حرب /٦/ حزيران (يونيو) ١٩٦٧م باحتلال القدس ، والضفة الغربية ، وأجزاء أخرى من البلاد المجاورة ، وهي هضبة الجولان السورية وصحراء سيناء التي تم تحريرها وتحرير بعض مناطق الجولان وهي مدينة القنيطرة وتوابعها فقط في مفاوضات كامب ديفيد عام ١٩٧٩م بعد حرب رمضان (تشرين الأول) عام ١٩٧٣م .

ويتميز القدس الشريف بمكانة بارزة لدى المسلمين والعرب ، بإشارات النصوص القرآنية والنبوية مما يوجب علينا الدين الإلهي الحق متابعة الجهود لاستعادة السيادة العربية الإسلامية عليها، وإيقاظ المشاعر الإسلامية والعربية للعمل الدؤوب في المجالين العالمي

والإقليمي بإبقاء القدس عربية ، والتخلص من الاحتلال الصهيوني لها ، وتبديد مزاعم إبقائها عاصمة اليهود إلى الأبد .

وها نحن اليوم يجب علينا إيضاح الرؤية حول موضوع القدس ، وتأكيد الحرص على عروبة القدس ، ووجوب التمسك بالحق الإسلامي العربي ، سواء في مفاوضات السلام المتعثرة الآن أو بأساليب أخرى . ومهمتنا هي علمية وطنية ودينية وقومية ، لأن تحرير القدس وسائر أجزاء فلسطين له أسلوب آخر متعين ومعروف .

* * *

obeikandl.com

أسماء القدس ومكانها في التاريخ

اشتهرت مدينة القدس بهذا الاسم في العهد الإسلامي الأول ، ولاسيما في القرن الخامس الهجري (القرن الحادي عشر الميلادي) ، وكان تاريخ فتحها في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة ١٥ أو ١٦ وتسلم مفتاحها عام ١٧هـ / ٦٣٨م فسميت بالقدس الشريف أو بيت المقدس ، بدليل ماجاء في صحاح السنة ومسند أحمد وسنن النسائي في حادث الإسراء والمعراج ، حيث ذكرت باسم بيت المقدس ، أي الطُهر .

وكانت تعرف في العُهدة العمرية (وثيقة الأمان لسكان المدينة) حينما فتحها المسلمون باسم « إيلياء » أي بيت الله[١] . وتسمى القدس في أسفار العهد القديم والجديد باسم « أورشليم » وكذلك سميت (صهيون) في الكتاب المقدس وفي الأدب اليهودي والمسيحي ، وهي رمز (لمدينة الله) كما جاء في سفر الرؤيا .

وكان لها في التاريخ القديم أسماء كثيرة ، منها « يبوس » باسم « اليبوسيين » بناة القدس الأولين سنة ٣٠٠٠ ق .م ، وهم من العرب الأوئل الذين نشؤوا في شبه الجزيرة العربية ، ثم نزحوا عنها مع قبائل

---

(١) قدم للمؤتمر الدولي السابع «مستقبل القدس العربية» في الدار البيضاء بالمملكة المغربية في ٢٣-٢٥ شباط (فبراير) ١٩٩٩م .

الكنعانيين[١] ، فكان العرب اليبوسيون هم أول من استوطنوا هذه المدينة في التاريخ المذكور .

وانصب سخط الرومان على المدينة المقدسة ، فهدم تيطس أبنيتها ، وهدم هيكلها العظيم سنة /٧٠/ ق م وتجددت عظمة بيت المقدس حينما اعتنق الإمبرطور قسطنطين المسيحية ، ويقال : إن أُمَّه القديسة هيلانة كشفت وأعادت بناء كثير من الأماكن المقدسة .

وبما أن بلاد الشام ومنها فلسطين كانت مهبط الوحي ومصلى الأنبياء ، ومهد الرسالات السماوية ، فقد تميزت مدينة القدس بتقديس الناس قاطبة ، وكان لها أهمية بالغة على المستوى الديني والسياسي ، وظلت محور صراعات ونزاعات ، من أجل السيطرة عليها ، والمفاخرة بمركزها الديني العريق ، وقد دفن في ترابها كثير من الأنبياء والصلحاء والصحابة المسلمين ، وعلماء الإسلام ، وأولياء الله الكرام ، وبرزت فيها آثار الإسلام ، وكان في القدس حكومة سياسية وصناعة وتجارة ، فاقتبس منها العبرانيون تلك الحضارة ، وصاروا يلبسون ثياباً نسجت من الصوف بدلاً من الجلود التي كانوا يلبسونها .

وتنامت مكانة القدس في التاريخ في أدواره المختلفة ، سواء في العهود القديمة أو في عهد المسيح ، والعهد الإسلامي ، وفي فترة الحروب الصليبية وما قبلها لدى أهل الصليب من الفرنجة ، والعرب المسيحيين وبعض اليهود في فترات زمنية محدودة[٢] .

وتضم المدينة المقدسة معظم الأماكن المقدسة في الأديان الثلاثة ،

---

(١) فتوح الشام للواقدي ٣/ ٢٠١ ، معجم البلدان لياقوت الحموي ١/ ٣٩٢ـ ٣٩٣ .

(٢) تاريخ قبة الصخرة المشرفة ص/ ١٨ـ٢٦/ فتوح الشام للبلاذري ص/ ١٣٦/ .

ويزورها المسلمون للصلاة في المسجد الأقصى وقبة الصخرة . وكان اليهود يعتقدون أن جانباً من أحد جدران المسجد الأقصى بني بأحجار أخذت من هيكل سليمان ، وهو الجدار المعروف بحائط المبكى . ويكرّم المسيحيون كنيسة القبر المقدس (كنيسة القيامة الآن) التي تقوم على المكان التقليدي لجبل الجلجثة الذي يعتقد المسيحيون أن المسيح صُلب عليه[١] .

* * *

(١) المرجع السابق ، تاريخ القبة ص/١٩/ ، تاريخ العصور القديمة لبرستد ، مكانة القدس في الإسلام للشيخ عبد الحميد السايح ص/١٢/ .

obeikandl.com

أحوال القدس وسكانها

تعرضت القدس القديمة في تاريخها لحروب كثيرة وهزات عنيفة قديماً وحديثاً ، وكان أتباع الديانات والملل يؤمّونها ، ويتبركون بآثارها ، وينتفعون بخيراتها ، ويحرصون على تتبع آثار الأنبياء فيها ، والتعرف على من دفن في تربتها من العظماء والعلماء والصالحين ، ولاسيما المسلمون .

واستوطنها شعوب وحكام كثيرون ، وكثيراً ماغزاها الفراعنة والآشوريون والبابليون والعَمُونيون والعرب ، والفرس والرومان واليونان[١] .

وسكنها الكنعانيون واليبوسيون العرب ، ثم جاء بنو إسرائيل واليونان والرومان والبيزنطيون ، ثم جاء العصر الإسلامي ابتداء من الأمويين ، ثم تلاهم العباسيون والفاطميون ، والأيوبيون ، والمماليك والخلافة العثمانية ، ثم وقعت القدس بأيدي الصليبيين لمدة تسعين عاماً ، ثم حررها القائد المؤمن صلاح الدين الأيوبي في ٢٧ رجب سنة ٥٨٩هـ أي تموز (يوليو) ١١٨٧م ، بعد استمرار الحروب الصليبية في القرن الخامس والسابع الهجري الموافق القرن الحادي عشر والثالث

(١) الموسوعة العربية الميسرة١/ ٤٥٤ .

عشر الميلادي ، ثم تعرضت القدس للانتداب البريطاني ، وتمتعت بعد ذلك بالحكم الأردني الهاشمي[١] .

ولم تنعم بالاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي إلا في العهد الإسلامي بعد أن افتتحها المسلمون ، وتسلَّم عمر بن الخطاب رضي الله عنه مفتاحها من البطريرك صفرنيوس سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م وهو راكب بعيراً أحمر ، وخلفه جَفْنة (قصعة) مملوءة بالتمر ، وقربة ماء ، فمنح أهلها الأمان ، وصلى هناك ركعتين على الصخرة المقدسة ، وخط المسجد الذي عرف باسمه (مسجد عمر) واستمرت في طابعها الإسلامي على مدى أربعة عشر قرناً في العهود الأموية والعباسية والعثمانية ، واعتبرها الأمويون أرضاً عربية ، ذات جدوى اقتصادية لغناها وموقعها الممتاز ، ووجود المسجد الأقصى والصخرة المقدسة فيها[٢] .

وتمتع أبناء الديانات في مدينة القدس القديمة في هذه القرون السابقة بالحرية في ممارسة شعائرهم وطقوسهم الدينية ، دون مضايقات ولاتعصب ، ولامساس بحرمة الأماكن المقدسة لكل ديانة ابتداء من الفتح الإسلامي ، وحتى حرب (٥) حزيران (يونيو) ١٩٦٧م ، ماعدا فترة تسعين سنة من الحملات الصليبية أواخر القرن الخامس للهجرة ، وأواخر القرن السادس ، وفي عهد الاحتلال الإسرائيلي المعاصر ، وهدم الأحياء العربية الإسلامية ، ساد التوتر والغليان والاقتتال والاضطرابات ، وأوضاع المصادرة ، وهدم الأحياء الإسلامية ، والاعتداء على الممتلكات ، والأماكن المقدسة والأوقاف الإسلامية

---

(١) مكانة القدس في الإسلام للشيخ السايح ص/ ١٣/ .

(٢) القدس الشريف ، للمهندس رائف يوسف نجم : ص/ ٥٩ـ٦٠/ .

داخل أسوار القدس ، وإجلاء أهاليها وسكانها العرب المسلمين عنها ، وانتهاك حرمة المسجد الأقصى وإحراقه في ٨/٢١ عام ١٩٦٩م ، والاعتداءات الصارخة بالحفريات المستمرة تحت أساساته ما بين ١٩٦٨ـ ١٩٧٩م ، وعلى المصلين بالأسلحة النارية الحديثة فيه عام ١٩٨٢م ، وفي مسجد الصخرة ، وسقوط عشرات الشهداء ، وممارسة ألوان الاعتداءات المتكررة على حرمة المقدسات الإسلامية والمسيحية ، كسرقة مقتنيات الكنائس وإحراقها[١] ، وارتكاب المجازر الدموية مثل مجزرة دير ياسين عام١٩٤٨ ، ومجزرة كفر قاسم عام ١٩٥٦ ، ومجزرة ١٩٥٣ ، ومجزرة خان يونس ورفح ١٩٥٦ ، ومجزرة الأقصى ١٩٩٠ ، ومجزرة الحرم الإبراهيمي في منتصف رمضان ١٩٩٤م .

ودأب اليهود على تنفيذ مخططاتهم الرهيبة بعد حرب ١٩٤٨م ، وإلى يومنا هذا بضم القسم الشرقي من القدس ، متحدّين كل القيم والأعراف والقوانين والمواثيق الدولية ، ومعتمدين بلاشك على تأييد الدول الاستعمارية بزعامة أمريكا وبريطانيا ، ومن إجراءاتهم وضع حدود بلدية القدس في (٢٨) حزيران ١٩٦٧م تحت شعار (توحيد القدس) والاستيلاء على ممتلكات المواطنين العرب من أراض ومبانٍ وإقامة حزام من المستوطنات ، وآخرها اليوم مستوطنة جبل أبي غُنيم ، وتغيير البنية السكانية للقدس ، بزيادة عدد السكان اليهود من روسيا وغيرها ، وطرد السكان العرب ، وإجراء حفريات وتغييرات على وضع الأماكن

(١) فتوح الشام للواقدي٢/ ٢٥٧ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ ، سعيد بن بطريق٢/ ١٧ ، تاريخ عمر لابن الجوزي ص٦٨ ، معجم البلدان ، لياقوت٣/ ٣٣ ، التاريخ السياسي للدولة العربية للدكتور عبد المنعم ماجد ١/ ١٨٨ .

المقدسة ، لتهديد سلامتها ، وإلغاء الإدارة المحلية العربية للقدس ، والمتمثلة في (مجلس أمانة القدس) وربط الخدمات الإدارية للمدينة بالخدمات الإسرائيلية .

وفي عام ١٩٧٣م وضعت إسرائيل ماأسمته (مخطط القدس الكبرى) الذي يضم مدن رام الله والبيرة وبيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور والمناطق المحيطة بها[١] .

* * *

(١) مصورات المركز الجغرافي الأردني ص٢٩ (قضية فلسطين في خرائط) .

obeikandl.com

هل دخل اليهود القدس في إطار السيادة في عهد موسى وداود عليهما السلام؟

على الرغم من دعوة موسى عليه السلام قومه بني إسرائيل بدخول الأرض المقدسة ، ومجاهدة الأعداء ، كما حكى القرآن الكريم في آية ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة : ٢١] ، فإنهم رفضوا ذلك جبناً وخوفاً من الكنعانيين العرب ، وقال النقباء الذين أرسلهم موسى عليه السلام للتجسس في الأرض المقدسة : ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا ۖ فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾ [المائدة : ٢٢] .

والمراد بقوله تعالى : ﴿ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [المائدة : ٢١] دخول السكنى ، لا التملك ، لأن بيت المقدس مقر الأنبياء ومسكن المؤمنين ، وقد قسمها الله لأهل طاعته وسماها ، حيث وعد الله إبراهيم الخليل عليه السلام بحق السكنى في تلك الأراضي المقدسة (الطاهرة) لا أنها ملكٌ لهم ، لأن هذا مخالف للواقع ، فاستنباط اليهود من ذلك الوعد أنه لابد من أن يعود لهم ذلك الملك ، ليس بحق ولا بصحيح .

قال ابن عباس : كانت هبة ، ثم حرمها الله عليهم بشؤمهم وعصيانهم ، ولأن قوله تعالى : ﴿ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [المائدة : ٢١]

مشروط بقيد الطاعة لله تعالى ، فلما لم يوجد الشرط ، لم يوجد المشروط[١] .

وأما التسلل اليهودي الفردي دون السيادة والسلطة ، فقد وجد من اليهود في عهد موسى عليه السلام ، لقول الله تعالى : ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة : ١١٤] وهذا يشمل أيضاً الرومان الذين أفسدوا في فلسطين ، وقد دخل تيطس الروماني بيت المقدس بعد موت المسيح عليه السلام بنحو سبعين سنة ، وخرَّبها ، وهدم هيكل سليمان ، وأحرق بعض نسخ التوراة ، وكان المسيح عليه السلام قد أنذر اليهود بذلك .

وينطبق هذا على الصليبيين الذين أغاروا على بيت المقدس وغيره من بلاد المسلمين سنة ٤٩٢هـ ، وصدّوا الناس عن المسجد الأقصى وخربوا كثيراً من المساجد . ويشمل النص أيضاً مايفعله الصهاينة في الوقت الحاضر من تخريب كثير من مساجد فلسطين ، وتهديم معالم القدس ، وإحراق المسجد الأقصى ، ومحاولات هدمه المتكررة[٢] .

لكن في عام ١٠٠٠ ق .م توطدت مملكة العبرانيين على يد شاول وداود عليه السلام ، واستقرت في بيت المقدس بعد أن بدأ داود تكوين مملكته في (حبرون) ثم في حصن (صهيون) الذي كان اليبوسيون يقيمون فيه ، وقد اتخذ داود القدس مملكته بعد أن انتزعها من اليبوسيين . ثم جاء سليمان عليه السلام ، وأقام الهيكل (المعبد) فيها ، فزاد من بهائها وعظمتها ، وبعد حكم سليمان انقسمت المملكة إلى دولتين : دولة إسرائيل ، ودولة يهوذا اللتين دمرتهما آشور وبابل

(١) قضية فلسطين في خرائط ، المرجع السابق : ص٢٨ .
(٢) التفسير المنير للباحث ١٤٦/٦ .

حوالي ٧٢٢ و٥٨٦ ق .م واتخذها ملوك يهوذا عاصمة مملكتهم التي اطردت ضعفاً . ثم غزا الفرس فلسطين ، وكوّنوا بها مملكة تحت رعايتهم ، وغزا الإسكندر فلسطين في القرن الرابع قبل الميلاد .

وفي ٥٨٦ ق .م سقطت القدس في أيدي البابليين ، ولكن عزرا ونحميا أعادا بناءها بعد عودة اليهود من السبي ، وكانت حاضرة الميكابيين والملوك هيرودس .

ولكن محاولة الإغريق فرض حضارتهم على فلسطين ، أثارت اليهود بقيادة الميكابيين الذين أقاموا في ١٤١ق .م دولة جديدة بقيت سبعين عاماً فقط ، ثم خضعت فلسطين لحكم الرومان . وكانت زمن المسيح عليه السلام يحكمها ملوك يدعون هيرودس ، لم يكن لهم من السلطان سوى ظله ، ولم يفلحوا في التوفيق بين اليهود والرومان . وقام اليهود بفتنة ٦٦ق .م ضد الحكم الروماني ، فأخمدها الرومان ، ودمروا الهيكل سنة ٧٠ق .م ، وطردوا اليهود[١] .

إن توالي حكم العرب اليبوسيين ، ثم الحكم الإسلامي أربعة عشرة قرناً ، وتخلل فترة زمنية محدودة في الماضي السحيق لحكم اليهود في فلسطين ، لا يمنحهم الحق في فلسطين ، وحجتهم في ذلك واهية لسببين :

١ـ إن هذا السبب في منطق الأعراف الدولية والشرائع لايعتبر ، وإلا لترتب على ذلك تغير خريطة العالم ، وساغ للعرب والمسلمين أن يطالبوا بالأندلس (أسبانيا) التي حكموها عدة قرون ، ولساغ للهنود الحُمْر أن يطالبوا أيضاً بالولايات الأمريكية .

---

(١) المرجع السابق ١/ ٢٨٠ .

٢ـ على فرض صحة هذا المنطق غير السليم ، فإن وجود العرب في القدس على مدى أزمان كثيرة في القديم وفي التاريخ الإسلامي أقدم من الوجود اليهودي[١] .

أما الاحتلال الصهيوني الجديد للقدس فهو كما يُعلَم غير مشروع ، لأن ميثاق الأمم المتحدة ينص على عدم جواز ضم أراضي دولة أخرى بالقوة الحربية ، وما أكثر القرارات الصادرة عن مجلس الأمن والجمعية العمومية التي تشجب العدوان الصهيوني وتجاوزاته .

ولابد بإذن الله من تحرير الأراضي المحتلة ، والقرآن الكريم يخبرنا بمحاولتين سابقتين لليهود ، يسلِّط الله في كل محاولة منهما عباداً له أولي بأس شديد ، ويتكرر الإنذار الإلهي لهم بالثأر والانتقام على ألوان مفاسدهم وخرائبهم وتحدياتهم ، بقوله تعالى : ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء : ٨] وقوله سبحانه : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾[٢] [الأعراف : ١٦٧] .

وإن تمرد الصهاينة على القوانين الدولية والحقوق العربية الإسلامية في ظل مايعرف بالقضية الصهيونية ، لابد من أن يتحطم أو يتداعى مثل هذا التمرد والعجرفة والاستكبار ، ولابد لنا بمشيئة الله تعالى من تحرير الأراضي المقدسة في سائر فلسطين ، لأن العدو الصهيوني ، والأحلام الإسرائيلية ، واستمرار العدوان اليهودي ، والتطرف الشديد : مؤقت غير دائم ، وليس له مقومات البقاء والاستقرار ، لأن أعمالهم العدوانية ووحشيتهم البالغة فاقت كل تصور .

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة ٢/ ١٣٠٩ـ ١٣١٠ ، قصص الأنبياء للأستاذ عبد الوهاب النجار ص٣٠٧ وما بعدها .

(٢) مكانة القدس في الإسلام للشيخ عبد الحميد السايح ص١٢ وما بعدها .

ولا أمل كما يبدو في الوقت الحالي (وزارة نتنياهو أوائل عام ١٩٩٩م، ومن بعده حكومة باراك التي لا تختلف معها من حيث المضمون ثم حكومة السفاح شارون) بعد إيقاف عملية السلام من الجانب الإسرائيلي في وجود مايسمى بالتعايش الاجتماعي أو الديني بين العرب والإسرائيليين، فيكون الإصرار على تحرير جميع التراب الفلسطيني، وإعادة فلسطين بكاملها إلى أصحابها العرب، هو الذي ينبغي أن يظل شعارنا، ويلزم التحرك في جميع المستويات الحالية والمستقبلية لتحقيق مدلول هذا الشعار[١]. ولا يتغير هذا المطلب حتى بعد استئناف عملية السلام في عهد وزارة إيهوك باراك أواخر عام ١٩٩٩م وما بعده، ولم يتحقق شيء إلى الآن، حتى إن الأمل بالمفاوضات بين العرب واليهود في مطلع عام ٢٠٠٥م أصبح ضعيفاً جداً.

* * *

(١) قصة غزو فلسطين للأستاذ محمد عزت دروزة: ص٣-٣٠.

القدس عند اليهود

حينما حكم داود عليه السلام بدأ في بناء هيكل للعبادة ، وأتى بالحجارة من المَحْجر الموجود قرب باب العامود المسمى الآن (مغارة سليمان) . ثم أكمل سليمان عليه السلام هذا الهيكل سنة« ١٠٠٥ »ق .م ، وكانت مساحته (٧٠) ذراعاً طولاً ، و(٢٠) ذراعاً عرضاً .

هُدم هذا الهيكل على يد نبوخذ نصّر الذي سبى اليهود ، ثم أعاد ترميمه الملك هيرود سنة(١١)ق .م ، وجاء طيطس بعد ذلك ، وهدم الهيكل الثاني سنة(٧٠)م ، وجاء بعده هدريان وأزال آثاره كلها[١] .

وبعد إعلان اليهود ضم القدس في ١٩٦٧/٦/٢٧م ، عقد في القدس اجتماع ، حضره حاخامو اليهود في العالم ، وطالب الحضور بإعادة بناء الهيكل . فكان جواب وزير الأديان آنذاك (الدكتور زيرح فارهافتك) :

« إنه لايناقش أحد في أن الهدف النهائي لنا هو إقامة الهيكل ، ولكن لم يحن الأوان بعد ، وعندما يحين الموعد ، لابد من حدوث

(١) مذكرة الهيئة العربية العليا لفلسطين إلى مؤتمر التضامن الآسيوي الإفريقي بالقاهرة في جمادى الآخرة سنة١٣٧٧هـ ـ ٢٥ديسمبر (كانون الأول)١٩٥٧م .

زلزال يهدم الأقصى ، ونبني الهيكل على أنقاضه »[١] .

ويعظم اليهود القدس ، ويترددون في صلواتهم وطقوسهم ومراسم عبادتهم على (حائط المبكى) وساحة المبكى ، زاعمين بأن هذا الجدار : هو الجدار الخارجي لهيكل سليمان الذي رممه هيرود سنة ١١ق .م ، ولكن نسوا أن طيطس قد هدمه سنة (٧٠)م وجاء بعده هدريان ، وأزال آثاره كلها ، وأصبح مكانه قاعاً مستوياً .

والواقع أن جدار المبكى هو حائط البراق الإسلامي ، وهو قسم من الجدار الغربي لجدار الحرم الشريف ، ويبلغ طوله (٥٠م) تقريباً ، وارتفاعه (٢٠م) ، ويعد من الأوقاف الإسلامية ، لأنه جزء من الحرم الشريف ، وله علاقة وطيدة بإسراء النبي ﷺ . ومسجد البراق ملاصق لهذا المكان ، فيسمى هذا الجدار بالبراق .

إن ملكية هذا الجدار الإسلامية قد أيدها تقرير هيئة عالمية ، شكّلت في زمن الانتداب البريطاني على فلسطين ، وقدمت تقريراً بذلك سنة ١٩٣٠م ، وأعيد نشر هذا التقرير بتاريخ ٢٣شباط (فبراير) ١٩٦٨م بعد الاحتلال الإسرائيلي للقدس تحت رقم(١٨٤٢٧س) .

وعلى الرغم من أن اليهود لايملكون أي حق قانوني بهذا الحائط ، إلا أن سماحة المسلمين أذنت لليهود بزيارة هذا الحائط والبكاء خلفه ، ومن هنا أطلقوا عليه (حائط المبكى) بينما اسمه الحقيقي هو حائط البراق .

وتدل أسفار العهد القديم (التوراة) المكتوبة من قبل حاخامات اليهود على أهمية القدس والتعلق بها والحنين إليها ، جاء في الأصحاح

---

(١) القدس الشريف ، رائف نجم ص١٢ـ١٣ .

الثامن والأربعين من أسفار العهد القديم (حزقيال) ص/١٢٥٧/ : « أما المقدس فلكهنة من بني صادق الذين حرسوا حراستي الذين لم يضلوا ، حين ضل بنو إسرائيل ، كما ضل اللاويون ، وتكون لهم تقدمة من تقدمة الأرض : قُدْس أقداسٍ ، على تخم اللاويين » .

وجاء في الأصحاح الأول من سفر دانيال ص(١٢٦٠) : في السنة الثالثة من مُلْك يَهُويا قِيم مَلِك يهوذا ، ذهب نبوخَذ نصَّر ملك بابل إلى أورشليم وحاصرها .

وفي الأصحاح الثاني والخمسين من سفر إشَعْيا ص(١٠٥٦ـ١٠٥٧) « استيقظي استيقظي ، البسي عزّك ياصهيون ، البسي ثياب جمالك ياأورشليم المدينة المقدسة ، لأنه لايعود يدخلك فيما بعد أغلف ولانجس . انتفضي من التراب ، قومي اجلسي ياأورشليم ، انحلّي من رُبُط أيتها المسبية ابنة صهيون » (أشيدي ترنمي معاً ياخِرَب أورشليم ، لأن الربّ قد عزى شعبه ، فَدَى أورشليم) .

وفي المدينة الجديدة للقدس أديرة وكنائس ومجامع يهودية عديدة ، وظهر فيها كثير من عظماء الأنبياء اليهود الذين نادوا برسالتهم في شوارعها . ولكن فقد اليهود أي مظهر للسلطة على القدس بعد أن احتلها الرومان سنة (٦٣) ق .م وقضى على حركة الشعب اليهودي قضاءً مبرماً .

وانتهى كل وجود لليهود في القدس بعد أن عذّبهم تيطس الروماني سنة (٧٠م) وبعد أن دمر أدريانوس الروماني (١١٧ـ١٣٨م) المدينة تدميراً كاملاً ، لم يبق لليهود ولا لغيرهم وجود في هذه المدينة[١] .

* * *

(١) المرجع السابق : ص١٧ . وقال ابن غوريون أول رئيس وزراء لإسرائيل : « لامعنى لإسرائيل بدون القدس ، ولا معنى للقدس بدون هيكل » .

القدس عند المسيحيين

يرتبط المسيحيون أيضاً ارتباطاً عقدياً بالقدس ، ويحجون إليها من مختلف بلاد العالم إلى الآن ماعدا الأقباط الأرثوذكس في مصر ، حيث منعهم البابا شنودا المعاصر من زيارة الأماكن المقدسة في القدس وبيت لحم وغيرها ، مادامت ترزح تحت نير الاحتلال الصهيوني . وهذا موقف وطني وديني مشرّف ، على مدى التاريخ .

ويركز المسيحيون على زيارة بيت لحم (أو بيت الخبز) جنوبي بيت المقدس ، قيل : إنها مسقط رأس السيد المسيح عليه السلام ، كما جاء في إنجيل متّى (ص٤) وتعرف في الكتاب المقدس باسم (بيت داود) أحياناً ، يعتمد سكانها وأكثرهم مسيحيون على الحُجَّاج في موارد دخلهم . بنى فيها الإمبراطور قسطنطين (٣٣٠م) كنيسة في الموضع الذي تذكر الروايات أنه شهد ميلاد المسيح . واسمها القديم أفرات كما جاء في سفر التكوين (٢٥ : ١٦ـ٢٠ ، ٤٨ :٧) ومن أهم آثارها :

ـ مغارة اللبن ، ومقبرة راشل ، وعيون سليمان[١] .

ويزور المسيحيون ويحجون إلى كنيسة القيامة (القبر المقدس)

---

(١) تاريخ قبة الصخرة المشرفة ص٢٠ـ٢٢ .

وهي كنيسة في بيت المقدس ، شيدت فوق قبر المسيح . يقال : إن القديسة هيلانة (٣٣٥م) هي التي أرشدت إلى مكانها ، ومع أنها في حوزة الأرثوذكس ، إلا أن لجميع الطوائف المسيحية الأخرى نصيباً فيها[١] .

ويوجد بالمدينة القديمة كنائس وأديرة كثيرة وهي (١٩) كنيسة ، تتبع مختلف الطوائف المسيحية ، وهذه المدينة غنية بارتباطاتها بالعهدين القديم والجديد ، وقد أقيمت كنائس ومعابد على جميع الأماكن المتصلة بأحداث وأشخاص التوراة والإنجيل ، فإن المدينة يمتد تاريخ تأسيسها إلى القرن (١٥ق .م) ، وقد تكون هي أورشليم المذكورة في سفر التكوين ، وجعلها الملك داود عاصمة بعد أن انتزعها من اليبوسيين . وجاء في الأصحاح الخامس عشر من إنجيل متّى التصريح بمناقشة الكتبة والفريسيين اليهود القادمين للسيد المسيح عليه السلام من أورشليم في بعض الآدب والأخلاق[٢] .

وكانت القدس موضع عناية السيد المسيح عليه السلام بنشر رسالته حيث كان يطوف المدن كلها والقرى في فلسطين يعلّم في مجامعها ، ويكْرِز ببشارة الملكوت ، ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب الإسرائيلي[٣] .

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة١/ ٤٥٤ .

(٢) المرجع السابق ٢/ ١٤٨٩ .

(٣) إنجيل متّى ص(٢٧) جاء في إنجيل متّى في الأصحاح الثالث والعشرين ص(٤٣) قول السيد المسيح عليه السلام « ياأورشليم ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها ، كم مرّة أردت أن أجمع أولادك. . . » إلخ . وهذا إشارة لقتل اليهود كثيراً من الأنبياء .

وازدادت عظمة المدينة المقدسة بهاء وعظمة وتعلقاً من المسيحيين بها بعد أن اعتنق الإمبراطور الروماني قسطنطين المسيحية في القرن الرابع الميلادي ، كما تبين سابقاً .

وفي الجملة : لاينكر تعلُّق المسيحيين بالقدس من الناحية الدينية على ممر التاريخ القديم والحديث .

* * *

obeikandl.com

القدس لدى المسلمين والعرب

دل التاريخ القديم في عهد الكنعانين واليبوسيين العرب ، والجديد في العهد الإسلامي لمدة أربعة عشر قرناً أن أطول فترة بقيت فيها القدس تحت النفوذ الإسلامي والعربي هي الفترة الإسلامية العربية . فالعرب اليبوسيون هم أول من استوطنوا المدينة المقدسة ، حوالي (٣٠٠٠ سنة ق .م) ، وكانت تسمى (يبوس) كما تقدم .

وظلت أورشليم أربعة قرون تعيش في القلاقل والاضطرابات الداخلية والخارجية بعد انقسام مملكة داود وسليمان إلى شطرين ، يهوذا وعاصمتها أورشليم (القدس) وإسرائيل وعاصمتها شكيم (نابلس) وكثيراً ماغزاها الفراعنة والآشوريون والبابليون والعَمونيون والعرب ، والفرس والرومان واليونان ، كما تقدم . وبعد ظهور الإسلام تعلّق المسلمون تعلقاً شديداً بالقدس وأنزلوها في قلوبهم منزلة عزيزة كريمة ، إذ جعلوها حرماً مقدساً يأتي في المرتبة الثانية بعد مكة المكرمة ، فهي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

واستعاد المسلمون القدس على يد صلاح الدين الأيوبي سنة ١١٨٧م بعد أن سقطت في أيدي الصليبيين سنة ١٠٩٩م . وبقيت في أيدي المسلمين حتى استولى عليها البريطانيون سنة ١٩١٧م في الحرب العالمية الأولى ، ثم اتخذوا القدس عاصمة في أثناء الانتداب البريطاني

على فلسطين ، وحينما انتهى الانتداب سنة١٩٤٧م حارب العرب اليهود سنة ١٩٤٨م لانتزاعها من أيديهم ، وبقيت المدينة القديمة بيد العرب ، والمدينة الجديدة بيد اليهود ، إلى أن أعلن اليهود في ١٩٦٧/٦/٢٧م توحيد المدينة بعد حرب ١٩٦٧م .

وعلى الرغم من هذا الوضع المأساوي الحالي ، فإن العرب والمسلمين قاطبة متمسكون بحقهم في القدس القديمة وسائر فلسطين للأسباب الآتية :

١ـ الفتح الإسلامي واستمرار القدس بيد المسلمين على مدى أربعة عشرة قرناً .

٢ـ حادث الإسراء والمعراج :

يقول الله تعالى عن الإسراء : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء : ١] .

ويقول سبحانه عن المعراج : ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم : ٧ـ١٧] .

فهاتان الآيتان المقررتان لحادث الإسراء والمعراج في ليلة واحدة تربطان في عقيدة المسلم ضرورة الحفاظ على المحور المكي ـ المقدس ، من البيت الحرام إلى الأقصى تحت السلطة الإسلامية العادلة والمعتدلة التي كانت وماتزال في غاية العفو والتسامح ، وتيسير تردد أتباع الديانات الأخرى على مقدساتهم في القدس وغيرها .

والمسجد الحرام : هو المسجد الذي يشتمل على الكعبة المشرفة ،

المشهور بين الخاص والعام بعينه . والمسجد الأقصى : هو بيت المقدس . ووصفه بالأقصى ، أي الأبعد بالنسبة إلى من بالحجاز ، أو لأنه أبعد المساجد التي تزار ، من المسجد الحرام ، وبينهما بحسب وسائل النقل القديمة نحو أربعين ليلة . وتم الإسراء بالجسد والروح على دابة البراق إلى بيت المقدس .

والمعراج بوساطة أجنحة الملائكة ، وبقدرة الله تعالى الظاهرة في الأنفس والآفاق بدءاً من هامة قبة الصخرة المشرفة .

وتم ذلك لخاتم النبيين ﷺ الذي توّج برسالته الأديان والرسالات ، وكان القرآن المنزل عليه مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه .

٣ـ التمكين من العبادة الخالصة لله عز وجل : أخرج الجماعة (أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى »[١] ولا يتحقق هذا المدلول إلا في ظل السيادة الإسلامية ، لا اليهودية العنصرية التي ملأت فلسطين بألوان التخريب والتدمير والأذى والإفساد وإحراق المسجد الأقصى ، وبعض الكنائس .

أما المسلمون فهم محافظون على المقدسات ، جاء في مسند الطبراني بإسناد صحيح : « الصلاة في المسجد الحرام بمئة ألف صلاة ، والصلاة في مسجدي بألف صلاة ، والصلاة في بيت المقدس بخمسمئة صلاة » .

٤ـ صلاة المسلمين الأوائل إلى بيت المقدس : أخرج الإمام أحمد

---

(١) ورواه أيضاً أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري ، وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو .

والطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كان النبي ﷺ يصلي وهو بمكة ، نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه ، وبعدما هاجر إلى المدينة ، ستة عشر شهراً ، ثم صرف إلى الكعبة »[١] . وأخرج ابن جرير الطبري مثله عن قتادة[٢] .

وفي حديث البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً ، وكان الرسول يحب أن يوجَّه نحو الكعبة ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ... ﴾ [البقرة : ١٤٤] الآية ، فتوجه نحو الكعبة » .

وصارت القدس بناء عليه أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، ومسرى النبي ﷺ ، وكل ذلك يؤكد وجود الحق الإسلامي في القدس وفلسطين ، وعدم الاعتراف باغتصاب الصهاينة وعدوانهم الأثيم .

٥ـ الأماكن المقدسة في القدس ، ومنها المبكى تخضع لنظام قديم يسمى (الساتيكو) أي بقاء القديم على قدمه ، وعدم إحداث تغير فيه . ويعتمد هذا النظام على احتفاظ كل طائفة أو جماعة بحقوقها الموروثة ، استناداً إلى براءات سلطانية ، أو أعراف قديمة ، أو تسامح معهود .

وتمسكت حكومة الانتداب البريطاني حين حكمها لفلسطين بهذا النظام[٣] .

---

(١) إنجيل متّى ص١٧ .
(٢) فتح الباري ٢/٤٨ .
(٣) تفسير الطبري ٢/٥٢٩ .

كل هذه الأدلة الناصعة تدل على أحقية المسلمين والعرب بحق الإشراف على القدس ، وإبقاء السيادة العربية عليها بنحو دائم .

المعالم الأثرية الإسلامية والمسيحية :

كل ما في القدس القديمة له طابع إسلامي محض ، ويصاحبه بعض المعالم المسيحية ، فالمجموع الإجمالي للآثار المسيحية (٣٧) ، منها (١٩) كنيسة ، و(١٨) طريقاً ، والمجموع الإجمالي للآثار الإسلامية (٢١٩) ، ومجموع الأمرين (٢٥٦) ، تشمل (٤٦) مدرسة ، و(٤٠) زاوية ومقبرة وضريحاً ، و(٢٥) مسجداً ومئذنة ، (٢٢) سبيلاً وحماماً ، و(٣٥) أثراً داخل الحرم الشريف ، و(٣٤) طريقاً ، و(٩) أسواق ، و(٨) أسوار وأبواب القدس القديمة[١] .

وكل ذلك ينطق بأن المسلمين هم أحق بالقدس الشريف .

عروبة فلسطين :

يتضح مما تقدم أن أرض كنعان أو فلسطين ، لم تكن أصلاً أرض شعب بني إسرائيل القدماء وأنها كانت موطن الشعوب العربية الذين أتى معظمهم من شبه جزيرة العرب .

وكل ما تدل عليه أسفار اليهود أن بعض آبائهم جاؤوا من العراق وعاشوا مع هذه الشعوب العربية فترة قصيرة ، ثم نزحوا إلى مصر ، وانتهى وجودهم . ثم قدموا من مصر بعد مئات السنين بقصد العدوان لطرد شعب فلسطين ، وكانت إقامتهم في فلسطين في معظم الأحيان في حالة اضطراب وانحراف وصراع قوَّض بنيانهم وشتَّت شملهم ، فزال

---

(١) مكانة القدس في الإسلام للشيخ عبد الحميد السايح ص(٤٨ـ٤٩) .

وجودهم ، وظل أهل البلاد الأصليون في بلادهمَ . ثم جاءت الموجات العربية قبل الإسلام وبعده ، فاندمجوا مع السكان الأصليين ، وأصبحوا شعباً عربياً واحداً[١] . فالقدس وفلسطين كلها عربية ـ إسلامية المنشأ والمصير ، وقد قرر فقهاؤنا وهم الشافعية : أن العدو لا يتملك أموالنا وبلادنا بالقهر .

تنظيم الإسرائيليين القدس :

مساحة القدس القديمة داخل الأسوار القديمة تبلغ كيلو متر مربع واحد ، بما في ذلك مساحة الحرم الشريف البالغة ٥٠٠×٣٠٠م٢ . ويمتاز نسيج المدينة المعماري على الطريقة الإسلامية ـ العربية بتناسقه وجماله وبساطته[٢] .

وقامت إسرائيل بإجراءات لتهويد القدس بعد حرب ١٩٦٧م ، متحدية كل قرارات الأمم المتحدة والمواثيق الدولية ، من هذه الإجراءات[٣] :

١ـ توسيع حدود بلدية القدس في ٢٨ حزيران (يونيو) ١٩٦٧م لتشمل مااحتلته عام ١٩٦٧م ، تحت شعار (توحيد القدس) .

٢ـ الاستيلاء على ممتلكات المواطنين العرب ، وإقامة مستوطنات عليها تحيط بمدينة القدس .

٣ـ تغيير البنية السكانية للقدس ، بأسلوب إسكان اليهود وزيادتهم ، وطرد السكان العرب .

---

(١) القدس الشريف خلال فترة الاحتلال الإسرائيلي من ١٩٦٧ـ١٩٨١ للمهندس رائف يوسف نجم ص(٧٠ـ٨٣) .

(٢) قصة غزو فلسطين للأستاذ محمد عزة دروزة ص(٢٧ـ٢٨) .

(٣) القدس الشريف ، المرجع السابق ص(٥٠) وما بعدها .

٤ـ إجراء حفريات وتغييرات حول وضع الأماكن المقدسة وتهديد أمنها .

٥ـ إلغاء الإدارة المحلية العربية والمتمثلة في (مجلس مدينة القدس) ، وإشراف إسرائيل على الخدمات الإدارية .

٦ـ تنفيذ مخطط (القدس الكبرى) الذي وضعته إسرائيل عام ١٩٧٣م بحيث يضم مع مدينة القدس مدن رام الله والبيرة وبيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور ومايحيط بها .

أولوية المسلمين والعرب في إدارة القدس :

إن النزعة العنصرية الإسرائيلية ، والانغلاق الضيق في عقيدة الصهاينة ؛ يمنعان تحقيق أي استقرار وأمن في القدس وغيرها من أجزاء فلسطين .

وعلى العكس من ذلك أثبت التاريخ القديم وفترات العهد الإسلامي على مدى أربعة عشر قرناً أن المسلمين والعرب هم أجدر بإدارة القدس وحمايتها والمحافظة عليها ، لتسامحهم مع أتباع الديانات الأخرى ، وتمكين السيّاح والزوار وجميع المسيحيين واليهود من زيارة مقدساتهم الدينية ، من غير مضايقة ولا قيود . وهذا ما أشاع روح التعايش الاجتماعي والديني في القدس وغيرها ، وأدى إلى تحقيق الاستقرار والأمان ، ومنع ظاهرة الاستفزاز أو الاعتداء ، خلافاً لما فعلته وتفعله الآن الإدارة الإسرائيلية والحكومة ، وسكوتها المبيّت عن ممارسة التطرف والإرهاب في نواحي القدس ، سواء في المسجد الأقصى أو في المسجد الإبراهيمي أو غيرها بإطلاق النار على المصلين ، من غير مسوِّغ ، وإحراق المسجد الأقصى ، وهدم الأحياء العربية ، ومتابعة

الحفريات تحت جدران الأقصى . وقد زادت حركة الاستيطان منذ تولي مناحيم بيغن رئاسة الحكومة الإسرائيلية عام ١٩٧٧ .

وذلك كما حكى القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [البروج : ٨] .

فإذا قارنا بين فترة العهد الإسلامي بالحفاظ على معالم القدس لمختلف الطوائف الدينية والسكان غير المسلمين ، وبين الممارسات الإسرائيلية الخطيرة والوحشية من هدم وطرد ، وإسكان اليهود محل العرب وضغوط اقتصادية وصحية وسياسية ، وبناء مستوطنات في الأراضي العربية ومحاولة تغيير معالم المدينة المقدسة المعمارية ، لوجدنا الفرق الواضح ، وتبين لكل عاقل من هم الأولى بإدارة القدس .

رفض فكرة تدويل القدس :

يجب علينا على الدوام أن نرفض ماتردد من محاولة بعض العرب وغيرهم تدويل القدس ، فإن هذه الفكرة خطيرة ، وتؤدي إلى الأبد إلى إلغاء الحق العربي في القدس ، وتمنع يوماً ما المطالبة بعودة هذا الحق ، ولنا أمثلة سيئة ، منها تدويل ممر طنجة ومضيق جبل طارق على المحيط الأطلسي ، فإن ذلك منع أي محاولة لدولة المغرب الأقصى من المطالبة بإعادة الحق الإسلامي ـ العربي والسيادة على هذا الممر أو المضيق .

ومن المعروف أن المستقبل لنا بمشيئة الله ، ولابد من أن يأتي يوم نتمكن فيه من طرد الصهاينة المغتصبين من كامل التراب الفلسطيني ، فلن نسكت على الضيم ، مهما بذلنا من تضحيات غالية في الأنفس والأموال وكل ما نملكه في هذا السبيل .

القدس مدينة السلام

إن ممارسة الشعائر والطقوس الدينية لأتباع أي دين يحتاج في الدرجة الأولى إلى وجود بيئة سلام واستقرار وأمان ، وبعيد عن الإرهاب والاعتداء ، وتخلٍّ عن سياسة بناء المستوطنات حول القدس العربية ، وتجنب كل محاولة لطرد وتشريد الشعب العربي من فلسطين .

فلا بد حينئذ من بقاء شعار السلام مرفوعاً في سماء القدس ، لأن هذه المدينة هي مدينة السلام والحب والوئام ، وهي معظمة لدى أتباع الديانات الثلاث كما تقدم ، وهذا ينبغي الحرص عليه ، والمبادرة في كل مناسبة إلى تنبيه الضمير العالمي ، والشعور الدولي ، للعمل على إحياء واستمرار رفع هذا الشعار ، والتاريخ أصدق شاهد على أن العرب والمسلمين كانوا ومايزالون في أتم الحرص على تحقيق مصداقية وعودهم وممارساتهم وأعمالهم في هذا المضمار .

* * *

obeikandl.com

القدس في براثن الأطماع الصهيونية ومخططات اليهود المستقبلية

لقد عشنا أحداث نكبة فلسطين عام ١٩٤٨م وما تلاها من الحروب المتوالية ، من العدوان الثلاثي (بريطانيا وفرنسا وإسرائيل) على مصر عام ١٩٥٦م ، وحرب ١٩٦٧م ، وحرب١٩٧٣م وكلها أدلة دامغة وملحوظة في وقتنا الحالي على أن إسرائيل حريصة على تصفية الوجود العربي : الإسلامي والمسيحي معاً ، من جميع أجزاء فلسطين .

وأمثلة هذا الواقع الأليم : اللجوء في عهد الاحتلال الصهيوني إلى إحراق ، وهدم المساجد والكنائس والمعابد والمخازن التجارية والبيوت العربية ، وتشريد السكان العرب ، واغتصاب أراضيهم ودورهم واستملاك مساحات كبيرة من الأراضي العربية ، وبناء مستوطنات صهيونية محلها أو حولها ، وتصريحات الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة بنواياها التوسعية ، ونسف كل محاولات السلام والاستقرار بين العرب وإسرائيل ، واستغلال أوضاع التأييد والإمداد الغربي والأمريكي بالمال الكثير والسلاح الخطير ، واللجوء إلى جميع أساليب الخداع والمكر والافتراء ، بل والتحدي السافر لأمريكا نفسها وللمواثيق الدولية وقرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن المتكررة والكثيرة[١] .

---

(١) مكانة القدس في الإسلام للسايح : ص٤٢ـ٤٦ ، قضية غزو فلسطين لعزة دروزة : ص٤٣ وما بعدها .

وتتركز محاولات إسرائيل في العدوان على المقدسات الإسلامية بمختلف الوسائل المتاحة ، والمستمرة والمتنوعة من حفر وهدم واستملاك ومصادرة للأوقاف الإسلامية حول المسجد الأقصى ، بل ومحاولة تصفية وهدم هذا المسجد برمته ، وإقامة معبد سليمان على أنقاضه بدليل ممارساتهم وإعلاناتهم منذ عشرات السنين ، وهذا من شأنه قلب خريطة العالم ، وتبديلها بحسب النزوات والشهوات والأساطير الإسرائيلية[١] .

يدفعهم لكل هذا وغيره من الأطماع والمخططات الإسرائيلية حقد دفين ، وعداوة شرسة ، وكراهية للشعوب الأخرى ، وبخاصة المسلمين والعرب .

ومن أقوال قادتهم في هذا الشأن : ماقاله الدكتور إيدر رئيس اللجنة الصهيونية : (أهداف الصهيونية هي إبادة العرب جميعاً) وقال موشي ديان وزير الحرب الإسرائيلي بعد احتلال القدس عام ١٩٦٧ : (اليوم يوم بخيبر) . وقال موشي ديان أيضاً بكل وقاحة : (لقد استولينا على أورشليم ، ونحن في طريقنا إلى يثرب وإلى بابل) . ومن تعاليمهم : (إن حدود إسرائيل من الفرات إلى النيل ، ومن البحر الأبيض للبحر الأحمر) . وكتبوا في الماضي على مدخل برلمانهم الكنيست : (حدودك ياإسرائيل من الفرات إلى النيل) .

إن مطامع اليهود ومخططاتهم المستقبلية الرهيبة لن تقف عند حد معين ، بل هي أوسع وأخطر مما نتوقع ، فهم يتوقعون سيطرة اليهود

---

(١) العدوان الإسرائيلي على المقدسات الإسلامية ، من منشورات وزارة الأوقاف الأردنية .

على العالم بعد استعادة الهيكل ، ففي العهد القديم : (كل أرض تمسها أخماص أقدامكم هي لكم) .

وإن زعماء اليهود في العالم لايسيرون على نحو عشوائي ، وإنما يسيرون ضمن مخطط مدروس دراسة علمية مفصلة ، وينفذون هذا المخطط بنحو سريع مستغلين الأوضاع العالمية ، ومعتمدين على قوتهم الذرية والكيماوية الغاشمة ، وأساطيلهم الجوية والبحرية ، وأحدث الوسائل والآلات الحربية البرية بإمداد مستمر من أمريكا وغيرها .

لقد اكتشفت السلطات الألمانية خريطة سرية في خزانة (آل روتشلد) في مدينة (فرانكفورت) وقد شملت هذه الخارطة البلاد الآتية : فلسطين كلها ، وشرق الأردن ، ولبنان ، وسورية ، والعراق حتى جبال كردستان شمالاً ، وشبه جزيرة سيناء ، والدلتا من أرض مصر ، وشمالي بلاد الحجاز حتى المدينة المنورة[١] .

وإذا نجح الصهيونيون بإقامة الدولة اليهودية في فلسطين ، فسيقدر لهم ليس فقط تملك العالم بل وحكم العالم باستعمال الثروة الموجودة في البحر الميت .

هذه أمثلة أو نماذج من حقيقة الأطماع الصهيونية ، فماذا أعددنا لمواجهتها في عصرنا الحاضر وفي مستقبل أمتنا؟!

* * *

(١) حقيقة اليهود والمطامع اليهودية ، للشيخ الدكتور محمد نمر الخطيب : ص٦٥ .

القدس من وجهة النظر العربية

تمهيد :

القدس الشريف على الرغم من مكانتها المتميزة في الأديان السماوية الثلاثة ، فهي تمر الآن في سلسلة من الجراح والمآسي والنكبات ، بسبب احتلال الصهاينة لها ، ونكبتها في يونيو (حزيران) ١٩٦٧م ، وطغيان عنصريتهم البغيضة ، ووحشيتهم اللامتناهية ، وتجاوزهم لأبسط حقوق الإنسان ، وطردهم السكان الآمنين ، ومصادرتهم الأراضي ، وهدم المنازل على رؤوس أصحابها ، والاعتداءات المتكررة على المساجد والكنائس والمصلين ، وتحديهم كل المشاعر والقرارات الدولية والعالمية والإسلامية والمسيحية والعربية .

وأدى كل ذلك إلى العصف بكل الارتباطات ، وقطع الصلات بين العرب وغيرهم في البلاد المجاورة ، والعالم الخارجي .

وتستمر ألوان العدوان والاعتداءات ، والتحديات ومظاهر الاستكبار والاستعلاء التي أخلّت بالموازين كلها ، وأظهرت حقيقة الصهاينة وكراهيتهم للعرب والشعوب كلها ، مما يؤدي في كل آونة إلى تفجُّر الصراع المرير ، ودفن مايسمى بمحاولات السلام ، لأنهم في الواقع لايريدون سلماً ، وإنما ينشدون حرباً ، وتدميراً وتوسعاً ، وتحقيقاً للأطماع الصهيونية في المنطقة العربية ، بل والعالم كله ، وممارسة كل أشكال التسلط السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي ، من غير تردد ولاتوانٍ .

وهذا مايحدو بالعرب في الدرجة الأولى أن يواجهوا كل خطط الصهاينة ومكائدهم بمختلف الوسائل واتخاذ المحاذير ، ومجابهة التحدي بمثله ، بل وبأحكم خطة وأصلب موقف وأدوم سياسة ، بدءاً من القدس ، ثم فلسطين كلها ، لأن مخاطر الصهيونية لاتقتصر على تهديد المصالح العربية فقط ، بل وتدميرها ونسفها ، وزرع أسافين الفرقة والاختلافات المعقَّدة بين الدول العربية . ويؤكد هذا ما ارتكبه الصهاينة من مجازر ومذابح في القدس « المسجد الأقصى » وفي المسجد الإبراهيمي وسائر أنحاء فلسطين[١] .

فما الموقف العربي اليوم والتخطيط السديد لاسترداد الحقوق المغتصبة ، وتطويق المخططات الصهيونية الماكرة والخبيثة ؟ .

لقد صمد العرب فترة تناهز ثلاثين سنة ، وقاطعوا الكيان الصهيوني واقتصادياته ، ثم وقعوا فريسة الاعتراف بهذا الكيان ، والأخذ بسياسة التطبيع تحت ستار السلام وتبادل المصالح بدءاً من زيارة بورقيبة لفلسطين سنة ١٩٦٤م ثم زيارة السادات وإبرام معاهدة كامب ديفيد عام ١٩٧٩م بين مصر وإسرائيل ، ثم مع العرب في اتفاقية مدريد ١٩٩١م ، ثم اتفاق أوسلو ١٩٩٣م ، واتفاق واي ريفر ١٩٩٨م مع السلطة الفلسطينية ، واتفاق وادي عربة مع الأردن عام ١٩٩٤ ، وما تلاه من لقاءات فلسطينية وعربية ، وزيارات للقدس من بعض رؤساء أو ملوك الدول العربية ، وبعض وزراء الخارجية العرب ، وبعض الكتّاب والصحفيين وأمثالهم مسايرة لدول الغرب بزعامة أمريكا ، التي هي في الحقيقة أداة طيّعة لإسرائيل لتمرير مصالحها . والآن ماوجهة النظر

---

(١) المذابح الصهيونية ضد الشعب العربي الفلسطيني في كتاب الانتفاضة : ص/ ٩٠/ .

العربية حول القدس تاريخياً ، وجغرافياً ، واستراتيجياً ، واستيطانياً ، وإعلامياً ، وسياسياً ، واقتصادياً ، واجتماعياً ، وثقافياً ؟ وذلك بعد خرق وحدة الصف العربي ، والأخذ بالحلول الجزئية أو المنفردة.

هذا ما أجيب عنه في بحثي أمام أي مؤتمر ، بعد الإقرار بوجود الكيان الصهيوني في اتفاقات السلام في مساحة تعادل ٧٨٪ من فلسطين.

تحليل أحداث التاريخ :

القدس منذ أربعة ألاف سنة ونيف قبل الميلاد ـ كما تقدم ـ ذات نشأة عربية بناها العرب اليبوسيون الأوائل الذين عاشوا في شبه الجزيرة العربية ، ثم استوطنها الكنعانيون العرب أيضاً ، واسمها الأصلي « أورشليم » أو « يبوس » : كنعاني ، يدل على أن المدينة كانت عندهم مقدسة قبل اليهود ، وقبل إبراهيم وموسى عليهما السلام ، ومعنى « أورشليم » : أنها مدينة السلام .

وظل اليبوسيون يسكنون القدس مع اليهود حينما خضعت (٧٠) عاماً لحكم داود وسليمان عليهما السلام فيما بين عامي ١٠٣٢و ٩٦٠ ق .م وحكمها العرب أكثر من خمسة آلاف سنة ، وهم الذين أسسوها وسموها ، كما تقدم .

فهي عربية أصلاً ، وعلى مدى التاريخ ، وعاصمة فلسطين ، وذات قداسة دينية ، حيث دفن فيها كثير من الأنبياء والمرسلين وقادة الفتح والعلماء والصالحين من المسلمين وغيرهم ، وصارت ذات مكانة خاصة عند المسيحيين والمسلمين .

وكانت أيضاً ذات أهمية تجارية وزراعية ، حيث بارك الله فيها وبما حولها . وكان مصدر ثرائها وخصوبتها المادية والمعنوية الروحانية :

أنها مهد الدعوة الدينية إلى توحيد الله ، وإصلاح نظام الحياة ، واصطبغت في عهد السيد المسيح عليه السلام بدعوته الإنسانية الكريمة وسماحته وسموه أمام مادية اليهود ، واستمرت في عروبتها تحت راية المسيحية ، وعرفت عصرها الذهبي بعد تنصر الإمبراطور الروماني قسطنطين سنة ٣٢٥م ، ثم صارت موطن أول مجمع كنسي بعد المسيح عليه السلام ، وفيها تأسست البطريركية الأرثوذكسية سنة ٤٥١م ، ودير الأرثوذكس (مارمرقص) ودير الكاثوليك (مارمبارك)[1] . ويحج إليها المسيحيون من أنحاء العالم ، للتبرك بمعالمها وزيارة كنيسة القيامة وغيرها من الكنائس .

وتمخَّضت القدس عربياً وإسلامياً بعد زوال الحكم البيزنطي (الروم) وانتشار الإسلام والفتح الإسلامي لها ولبلاد الشام سنة ١٥ـ١٧هـ / ٦٣٦م ـ ٦٣٨م ، وصارت في الفكر الإسلامي والعقيدة الإسلامية جزءاً تعبدياً ، يتعبد المسلمون في التوجه إليها إلى الله تعالى ، فهي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، ومسرى ومعراج النبي ﷺ سنة ٦١٩م ، بنص الآية القرآنية : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء : ١] .

ونعِمت القدس وجميع التراب الفلسطيني على مدى أربعة عشر قرناً بالأمن والسلام ، في ظل الحكم العربي والسيادة الإسلامية ، ماعدا

---

(١) القدس وتحديات التهويد ، د . أسعد السحمراني ص(٦٠) ومابعدها ، عروبة القدس د . عصام شبارو ص(٤٣) ضمن مقالات كتاب القدس في لبنان عام ١٩٩٨م .

فترة الاحتلال الصليبي لمدة (٩٠) عاماً حيث حررها القائد صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م[١] .

إن عروبة القدس وتضامن المسلمين والمسيحيين في الاستقرار فيها والتعايش الديني في ربوعها ، والحرية الثابتة لكل أتباع الديانات في معابدها ، أوجب على العرب الحفاظ على هُويّتها العربية ، وضرورة استرداد السلطة عليها ، في أي اتفاق أو معاهدة سلمية مع الكيان الصهيوني ، وهذا إجماع عربي واضح المعالم ، ومطلب حيوي أساسي ، على المستوى السياسي والدولي والعالمي والعربي والإسلامي .

القدس جغرافياً واستراتيجياً واستيطانياً :

تتمتع القدس من النواحي الجغرافية والاستراتيجية بموقع مهم جداً في بلاد الشام ، فهي ملتقى العواصم الثلاث : دمشق وعمّان وبيروت ، ومفتاح حماية هذه البلاد ، وذات موقع دفاعي متميز من الناحيتين السياسية والعسكرية بالنسبة للشام ومصر والسعودية أيضاً ، ويصعب اقتطاعها من قلب الأمة العربية والإسلامية ، وسكانها عرب ومسلمون ، وهي كسائر فلسطين جزء من الأمة العربية والإسلامية .

وإن مسألة المواطنة هي مسألة موت أو حياة ، قبل أن تكون مشاعر وكلمات ، وقبل أن تكون صوراً بالألوان ، أو بالأسود والأبيض[٢] .

---

(١) حروب القدس في التاريخ الإسلامي والعربي ، اللواء ياسين سويد : ص١٠٥ ، ط ، دار الملتقى ـ بيروت .

(٢) الانتفاضة وخرق إسرائيل لاتفاقيات جنيف ، مقال إسكندر لوقا عن الانتفاضة : ص(٦٦) .

ولا نعترف بحال من الأحوال باغتصاب الصهاينة لها عدواناً وظلماً ، ولا يجوز شرعاً لأهلها مغادرتها أو الهجرة منها ، مهما كانت التضحيات بالنفوس والأموال وسائر الممتلكات ، وعلى المسلمين والعرب مؤازرة سكانها الفلسطينيين والحفاظ على آثارها العربية وأوقافها ومقدساتها ، بكل ما أوتوا من قوة ، كما أن عليهم مقاومة كل محاولات تهويدها وتغيير معالمها ، وبناء المستوطنات اليهودية على حساب الأراضي والممتلكات العربية ، فالعرب الفلسطينيون قديماً وحديثاً هم أهل الحق فيها ، وأولى بالعيش في أحيائها والبقاء في ممارسة إدارتها وسلطانها الشامل ، وهم مواطنوها الأصليون الذين لاتقر الأعراف والأنظمة الدولية المعاصرة طردهم منها ، أو إبعادهم عنها .

ويخطئ من يصف السكان العرب بأنهم أسرى عند اليهود المغتصبين ، لأن الاغتصاب ظلم في حد ذاته ، ولم يكن احتلال اليهود للقدس سائغاً شرعاً ولا قانوناً ، ولأن الأسير : هو المحارب الذي يقاوم خصمه أو عدوه ، وعرب فلسطين فرض عليهم الاستسلام والتبعة من غير حرابة . وإذا أزيلت سيادة المملكة الأردنية عنها في عام ١٩٦٧م ، فإن الاتجاه الشرعي الإسلامي والقانوني الدولي المعاصر لايقر ضم أراضي دولة أخرى إليها بالقوة ، وماتزال القدس وفلسطين كلها بلداً إسلامياً عربياً ، مهما فعل اليهود وطال اغتصابهم لها ، فإن الواجب الإسلامي يقتضي جهاد العدو ، لاسترداد الحقوق المغتصبة في فلسطين جميعها .

وكل هذا يستدعي بقاء القدس عربية ، والإقرار بأحقية العرب فيها ، وضرورة الدفاع عن كيانها وهُويتها العربية .

وهذا من حيث المبدأ ، أما القهر الصهيوني والظلم الواقعي ومحاولات التهويد للقدس وغيرها ، فلا يغير شيئاً من أصالة هذا المبدأ ، ولا يسوِّغ الاستسلام لواقع الاغتصاب ، سواء بالنسبة للقدس أو لسائر فلسطين ، ولا بد في يوم من الأيام ، عاجلاً أو آجلاً من تحرير الأراضي المغتصبة بمشيئة الله تعالى ، وإلغاء جميع تصرفات الصهاينة ، سواء فيما سموه « توحيد القدس » في ٢٨ حزيران (يونيو) ١٩٦٧م أو فيما استولوا عليه من ممتلكات المواطنين العرب من أراض وأبنية ، وإقامة حزام من المستوطنات عليها لتحيط بمدينة القدس ، أو ما أدى إلى تغيير البيئة السكانية للقدس ، من حيث زيادة السكان اليهود ، وطرد وإبعاد السكان العرب ، وإجراء حفريات وتغييرات على وضع الأماكن المقدسة ، بنحو يهدد سلامة هذه المقدسات ، وإلغاء الإدارة المحلية العربية للقدس ، والمتمثلة في « مجلس أمانة القدس » وربط الخدمات الإدارية للمدينة بالخدمات الإسرائيلية ، وتبديد ماأسمته إسرائيل « مخطط القدس الكبرى » بإضافة مناطق أو مدن رام الله والبيرة وبيت حالا وبيت لحم وبيت ساحور وتوابعها لمدينة القدس[١] .

وفي مقابل ذلك لابد للجانب العربي من وضع استراتيجية وخطة قريبة لاسترداد عروبة القدس ، والعمل السياسي الجادّ في سبيل ذلك .

القدس إعلامياً وسياسياً واقتصادياً :

ينبغي أن يظل الإعلام العربي بمختلف أجهزته الصحفية والإذاعية والمرئية ، مطالباً بالحق العربي ـ الإسلامي في القدس وسائر فلسطين ، حتى لاينسى ذلك الجيل العربي حقه الأصيل ، وتظل القضية الفلسطينية

(١) قضية فلسطين في خرائط : ص(٢٨) ، مديرية المساحة العسكرية في الأردن .

جوهر الصراع العربي ـ الإسرائيلي ، مهما طال الزمان ، وتتابعت الأحداث ، وتتالت الحلول السلمية المزعومة ، لأن وجود الكيان الصهيوني في فلسطين خطر محقق على الأمة العربية ، وصراعنا مع هذا الكيان صراع وجود ، لاصراع حدود ، في مقابل سياسة التهويد والتوسع والاستيطان . وكل من يفرط عند الإمكان أو توافر القوة في المطالبة بالحق العربي في فلسطين ، فهو خائن لدينه وأمته ووطنه .

وعلى الساسة أن يتابعوا تصريحاتهم بالاحتفاظ بأصالة حقوقنا في فلسطين ، ولا سيما القدس « مدينة السلام » . وإذا اضطر السياسيون إلى اللجوء إلى الهدنة أو الدخول في معاهدات سلمية مؤقتة بسبب رغبة المجتمع الدولي الحاضر ، أو مراعاة لحال الضعف العربي المفكك والقائم ، فإن مثل هذه المواقف الاستسلامية لايغيِّر من طبيعة الحق العربي ، وبقاء فلسطين لأهلها على الدوام ، فقد نص جماعة من فقهاء الإسلام على أن العدو لايتملك أموالنا وأراضينا بالاحتلال .

وينبغي أن يظل الموقف السياسي العربي صلباً لايتزعزع ، قوياً لايلين ، متماسكاً لايتشتت ولا يتفرق ، يساند الحق الفلسطيني باسترداد القدس أولاً ، والحفاظ على عروبتها ، وسيادتها ، ورفض كل المساومات حولها ، ومنها فكرة تدويل القدس ، لأن ذلك يؤدي لفقدانها إلى الأبد ، وإبقائها في سلطان الأعداء وإشرافهم عليها ، وإضفاء صفة الشرعية الدولية عليها ، وهذا خطأ جسيم يجب الانتباه له ، وتخطئة من يدعو إليه .

وعلى العرب مؤازرة مايعرف بالانتفاضة المباركة التي بدأت حركتها وعملياتها في ١٩٨٧/١٢/٨م في يوم إعلان حقوق الإنسان ، فإن صوت الحق الفعلي أقوى من كل الصيحات الكلامية الأخرى ، لأن

تهويد مدينة القدس يؤدي إلى تدميرها ، وإزالة معالمها العربية بنحو كامل ، وفصلها عن طبيعتها العربية ـ الإسلامية ، وزجها مع أهلها المجاهدين الشرفاء في بركان من الأحداث الدامية والمصادمات العنيفة وغليان بقعتها وفورانها بساحة من الدماء الزكية ، وتمكين العدو الصهيوني من تمرير مخططاتهم ، وتنفيذ مآربهم وأطماعهم بسهولة ، دون أية معاناة ولا مضايقات .

وإذا أعلن الإسرائيليون أن القدس كانت عاصمة دينية لهم ، ويجب أن تبقى كذلك إلى الأبد ، وألاينازعهم في هذا أحد ، فهذا مجرد زعم باطل ، واستعلاء وغرور ، وسببه واضح وهو مساندة الغرب بزعامة أمريكا لهم . والحقائق التاريخية تثبت أن القدس هي في الأصل عربية ، وكانت أبداً مأهولة من قبل شعب كنعاني عربي قبل أن يأتي اليهود ليقيموا هيكلهم الذي دمّره الرومان ، على جزء منها[١] .

وكذلك المصادر التاريخية ودراسات الكتاب المقدس ، تثبت هذا الأصل الكنعاني الصريح للمدينة فهم ـ كما ذكرت سابقاً ـ أول من سكنوا « أورشليم » قبل خمسة آلاف عام ، حين نزح الكنعانيون من جزيرة العرب إلى فلسطين ، وكانت أورشليم مركزهم الرئيسي وعاصمة ملكهم[٢] .

والواقع أن الاحتلال الغاشم لايزيل هذا الوصف العربي عن القدس ، حتى وإن طال ، وتغطرس اليهود الظالمون ، ولم يقرّوا بحق

---

(١) انظر ص(٤١) من بحث أسعد السحمراني : « من اليهودية إلى الصهيونية » دار النفائس ـ بيروت ١٩٩٣م .

(٢) أحمد سوسة : « العرب واليهود في التاريخ » ص(٧٩٠) ، طبع العربي للإعلان والنشر ـ دمشق .

العرب في القدس ، فمن مقومات الشخصية الإسرائيلية :

أ ـ التعصب العنصري حول أسطورة خاصة بالأعراق والأنساب .

ب ـ التعصب الديني حول شريعة اعتبرها اليهود خاصة بهم ، لأنهم شعب الله المختار ، في زعمهم .

ج ـ حتمية الصراع ، وفناء أمم العالم أمام إسرائيل[١] . والاقتصاد ومعالمه الزراعية والتجارية والحرفية في أحياء القدس وأراضيها وتوابعها : ذو طابع بحت ، فهذه أسواق القدس القديمة ، ومساجدها وكنائسها ، ومكتباتها وأوقافها وآثارها ، ومنتجات أهلها ، وزراعة أشجار الزيتون وغيره حولها ، كلها تؤكد الصبغة العربية للقدس ، والأصل بقاء ماكان على ماكان .

القدس اجتماعياً وثقافياً :

كانت القدس متميزة قبل نكبة ١٩٤٨م بطابعها العربي الإسلامي : الثقافي والاجتماعي ، فاللغة العربية والمدارس العربية والصحافة العربية والثقافة العربية ، كانت هي السائدة في القدس وسائر فلسطين . وكان المجتمع العربي من المسلمين والمسيحيين موحداً متعاوناً ، يمارس كل فريق شعائره وحريته الدينية من غير أي مساس بالآخرين ، ولا تدخّل من أحد أو محاولة من نظام الحكم لعرقلة أي نشاط ديني أو سياحي أو ثقافي أو اجتماعي .

وحينما تسلط الصهاينة على القدس ، نشروا اللغة العبرية عن طريق المدارس والجامعات وفي الحياة الاقتصادية ، وزرعوا الخلافات بين

---

(١) الشخصية الإسرائيلية ، د . حسن ظاظا : ص(٤٧) .

العرب ، وقسموا الفلسطينيين إلى فئات ، بعضها موالٍ لليهود ، وبعضها معادٍ ومحافظ على وطنه وأرضه .

وبعد بدء محاولات السلام والصلح مع العرب ، تجاوزت مخططات الصهاينة فلسطين إلى العرب والمسلمين ، وأوجدوا مفاسد واختراقات متنوعة ، وألواناً من الغزو الفكري ، والاختراق العَقَدي والثقافي ، والأخلاقي ، والاقتصادي ، والاجتماعي .

وعملوا على تخفيف روح العداء لليهود ، بتغيير المناهج الدراسية في بعض المدارس والجامعات في البلاد التي صالحت اليهود ، ونشروا الأفكار الهدامة ، والمناقضة لعقيدة الأمة وثقافتها ، وعُدّلت في مصر على سبيل المثال مناهج أربع مواد : هي الدين ، واللغة العربية ، والتاريخ ، والمجتمع ، وحاولوا نشر الفواحش والرذائل ومفاسد الأخلاق ، والتحلل من القيم والآداب السائدة ، من طريق إفساد الشباب والشابات ، بالمومسات والراقصات . وحاولوا السيطرة على اقتصاد الدول المتصالحة معهم ، بتصدير منتجاتهم إليها ، واعتمادهم على رؤوس أموالهم الكبيرة ، وشراء الأراضي والمحلات التجارية في الأردن وغيرها ، معتمدين على أسلوب الانفتاح التجاري والتسهيلات الاقتصادية باعتبار أن « السلام » هو مظلة هذه التحركات المشبوهة ، وإيجاد تفوق اقتصادي وسياسي في المنطقة العربية ، بعد التفوق العسكري . ودعَوْا إلى وجود مايسمى بالشرق الأوسطية ، لاستيعاب إسرائيل في داخل الوطن العربي ، وتفريق كلمة العرب والمسلمين ، وتمزيق أي وحدة أو تقارب بين البلاد العربية والإسلامية ، وأقاموا بدلاً من جامعة الدول العربية جامعة الشرق الأوسط ، وحققوا بعض خططهم عن طريق أمريكا ومساعداتها المالية للأردن ، وتطويق الاقتصاد المصري بإمدادات القمح الشهرية ، وتزويدهم بالغاز الطبيعي من

الخليج ، أي سلطنة عُمان ، ومحاولة تزويدهم بالمياه من تركيا العلمانية .

وقد أدى ذلك إلى تراجع الاقتصاد الفلسطيني بعد اتفاق أوسلو ، وكذا الاقتصاد الأردني وهبوط قيمة الدينار الأردني بعد اتفاق وادي عربة ، وزادت البطالة وديون الدولة ، واكتسحت البضائع الصهيونية الأسواق ، وكسدت المنتوجات المحلية ، واشترى اليهود أسهماً كثيرة من الشركات والمصانع[١] .

إيثار السلام أو التحدي ؟

تميل أغلب الدول العربية مع السلطة الفلسطينية بعد اتفاق مدريد ١٩٨٩م إلى حل مشكلة النزاع أو الصراع العربي ـ الإسرائيلي ، من طريق الصلح والسلام ، وتسوية المشكلات من طريق المعاهدات والاتفاقات الجزئية أو الحلول المنفردة ، أي مع كل دولة على حدة ، لاسيما بعد أن جربوا الحرب ، وخاضوا حروباً ثلاثة بل أربعة هي حرب ١٩٤٨م ، والعدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م ، وحرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧م ، وحرب العاشر من رمضان أو السادس من أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٣م ، فلم يحققوا شيئاً بل خسروا وتراجعوا .

وليكن معلوماً أن الدعوة إلى السلام لاتعني الاستسلام ، ولا الذل

---

(١) انظر نصوص معاهدة السلام مع مصر : ص(١١٩) ، وكتاب التطبيع مع دولة العدوان اليهودي ص(١٢٣ ـ ١٢٥ ، ١٥٩ ـ ١٦١ ، ١٧٠) نقلاً عن كتاب / الشرق الأوسط الجديد/ ل « بيرز » ص(١١) ، بروتوكولات حكماء صهيون (١ ، ١٣ ، ١٤) اتفاق أوسلو وتداعياته ، منير شفيق : ص (٦٨) وما بعدها ، مجلة المجتمع : العدد (١١٦٢) ، مكائد يهودية ص(٤٣٨ ـ ٤٤٢) ، السلام مع إسرائيل ، هاني محمد : ص(٣٤ ـ ٣٥) .

والهوان ، وإنما السلم القائم على أساس من الحق والعدل ومقتضى الشرعية الدولية المتفقة مع الشريعة الإسلامية . والتحرك السياسي غير مرفوض بحد ذاته ، وإنما التنازل عن المطالب الأساسية هو الذي ينبغي رفضه .

وتلك هي رغبة المجتمع الدولي المعاصر أيضاً ، لإنهاء بؤرة الصراع في العالم ، ومنها الشرق الأوسط ، لأن الحرب لاتحقق شيئاً .

وعلى الرغم من هذا التوجه ، والذي لايقره الإسلام بصراحة أيضاً ، فإن العدو الإسرائيلي أوقف عملية السلام في عهد وزارة نتنياهو ١٩٩٩م وما قبله ، وكذا ما بعده في وزارة باراك مع سورية[١] ، وآثر التحدي والاستكبار ، وتأكد لدى العالم أن الصهاينة لايريدون في الواقع سلاماً ، وإنما تهدف الحركة الصهيونية إلى تدمير الأمة العربية ، وإقامة الكيان الصهيوني مقامها ، فهم خطر يهدد الأمة العربية بكاملها ، لإخضاعها بصورة شاملة ونهائية ، والصهيونية كالفاشية والنازية حركة عنصرية عرقية ، ويزعم اليهود أنهم يكوِّنون أمة واحدة ، وأنهم عرق البشر الأفضل والأنقى ، وهم شعب الله المختار .

وهم يعملون دائماً على نقض المعاهدات والمواثيق المبرمة معهم ، كما عبر القرآن الكريم عنهم ، ويعلنون عن هدم كل محاولات السلام ، ببناء المستوطنات في الأراضي العربية ، وسلب وانتزاع الممتلكات والأراضي العربية ، وتدمير الاقتصاد العربي ، وهدم المنازل ، وطرد السكان العرب ، وتهجيرهم بمختلف الوسائل ، ويتجرّؤون على خرق جميع اتفاقيات جنيف في السلم والحرب .

---

(١) اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٤/ ١٢/ ١٩٨٦م إثر أحداث جامعة بيرزيت قراراً أكدت فيه : أن سجل إسرائيل وسياساتها وأعمالها تؤكد أنها غير محبة للسلام ، ودعت جميع أعضاء الأمم المتحدة إلى عزلها ووقف جميع المعونات الاقتصادية والمالية والتكنولوجيا لها .

ويتحدّون الوجود العربي ، والإسلام بتشويه مبادئه ، والقرآن بمحاولة تحريفه ، ويعتدون على حرمة المساجد والكنائس ، ويسعون في الأرض فساداً كما أخبر القرآن المجيد عنهم . وأصدرت إسرائيل في عام ١٩٨٠م قانوناً بضم مدينة القدس العربية إلى الكيان الإسرائيلي ، وأصدر مجلس الأمن الدولي قراراً على إثر ذلك في ٢٠/٨/١٩٨٠م ببطلان قرار إسرائيل ، وأكد على أن هذا القرار ينتهك القانون الدولي ومعاهدة جنيف الرابعة ، كما أصدر قراره رقم (٤٩٧) لعام١٩٨١م أدان فيه قرار ضم منطقة الجولان السورية ، وطلب الرجوع عنه ، وقضى بعدم وجود أي أثر قانوني له على المستوى الدولي . ومع ذلك قامت دول غربية ومنها أمريكا أخيراً بنقل سفارتها وتمثيلها الدبلوماسي إلى مدينة القدس . وأمام هذه التحديات لكرامة الأمة العربية ، يجب على العرب مسلمين ومسيحيين أن يقابلوا التحدي بمثله ، وأن يعلنوا كما أعلن المؤتمر الشعبي اللبناني عام ١٩٩٨م :

القدس عاصمة العروبة ، عاصمة اللقاء الإسلامي ـ المسيحي الخالد ، وأية محاولة لنزع عروبتها بالتهويد ، أو ضم ترابها بالعدوان ، يعتبر تحدياً لكل عربي ، ولكل مسلم ولكل مسيحي .

إن نصرة القدس واجب كل المؤمنين الأحرار في دنيا العرب أولاً ، وفي العالم بأسره ، بعد ذلك باركها السيد المسيح عليه السلام ، وطرد اللصوص من هيكلها ، وهي مسرى النبي ﷺ ودخلها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بالتوافق مع بطريركها صفرنيوس ، وأعطاه العهدة العمرية التي تؤكد على أن القدس للمسيحيين والمسلمين ، لايكون معهم أحد من اليهود . ومنذ ذلك الحين تكرست هُوية القدس عربية

للأبد ، ومدينة التوحيد لكل البشر[١] .

وقال البطريرك الكسندروس بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس في شهادته أمام لجنة تحقيق دولية (بريطانية ـ أميركية) في شباط عام ١٩٤٦م في عهد الرئيس الأميركي (ترومن) : أدلي بشهادتي هذه في قضية فلسطين التي نعتبرها نحن المسيحيين ، كإخواننا المسلمين ، من أخطر القضايا ، لأنها ليست قضية طائفة من الطوائف ، بل هي قضية العرب على اختلاف مللهم ، وهي قضية حيوية ، ليس لعرب فلسطين وحسب ، بل لجميع البلاد العربية. . . إن دعوى الصهيونية لاتستند إلى أساس تاريخي أو ديني صحيح ، فإذا وجد فيها حائط المبكى ، ففيها أيضاً وفوق هذا قبر السيد المسيح والحَرَمان الشريفان .

وعلى العرب بنحو دائم وكما ذكرتُ مقابلة التحدي الصهيوني بمثله ، منذ قيام دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨م حتى يومنا هذا ، ومقارنتها بثلاثة تحديات عرفتها القدس مع الاحتلال اليهودي (٩٩٦ ـ ٥٨٦ ق .م) والاحتلال الصليبي (١٠٩٩ ـ ١١٨٧م) .

التحدي الأول : يتمثل في إعلان دولة إسرائيل (١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨م) تنفيذاً لوعد بلفور الذي قطعته بريطانيا في ٢تشرين الثاني /نوفمبر/ ١٩١٧م .

التحدي الصهيوني الثاني : متمثلاً في شن حرب ٥حزيران (يونيو) ١٩٦٧م ولم يتمكن العرب بزعامة جمال عبد الناصر من مواجهة المؤامرة الكبرى وأداتها الصهيونية .

---

(١) كتاب القدس عن الهيئة اللبنانية لنصرة القدس : ص(١٣٢) ومابعدها ، بيروت ١٩٩٨م .

التحدي الصهيوني الثالث : نفذته إسرائيل ـ نتنياهو ، مع إعادة فتح النفق الذي يمر تحت المسجد الأقصى في ليلة الأربعاء ٢٥/ أيلول/ ١٩٩٦م[١] .

* * *

(١) المرجع نفسه : ص٤٨ ـ ٥١ .

obeikandl.com

نتائج ومقترحات علمية ودينية

النتيجة التاريخية والمنطقية والواقعية أن القدس لها مكانة خاصة بارزة لدى أتباع الديانات الثلاث : وهي اليهودية والمسيحية والإسلام ، ولكن أمام وجود ظاهرة التكتل الصهيوني في العالم ، وأمام ظاهرة سيطرتهم على مراكز النفوذ في بلاد الغرب والشرق ، ومع ملاحظة توفير كل ألوان الدعم لإسرائيل والمؤازرة بالمال والسلاح من أمريكا وغيرها ، لابد من أن يكون للعرب والمسلمين خطة مدروسة ومنهج واضح ، واستراتيجية على المدى القريب والبعيد لمواجهة الأطماع والغطرسة الإسرائيلية على النحو الآتي :

١ـ العمل ماأمكن على منع الاعتراف بإسرائيل دولة وشعباً مقيماً في أرض فلسطين المغتصبة ، وعلى عدم إقرار اليهود على الاحتلال الغاشم ، لأن صراعنا مع الصهاينة صراع وجود ، لاصراع حدود ، كما تعلن سورية . ومعنى ذلك أن اليهود مصرون على الاستيطان في فلسطين ، فكان لا بد من مقابلة التحدي بمثله ، عملاً بالمبدأ الاجتماعي : لكل فعل رد فعل معاكس . فإن أرادوا التعايش السلمي مع العرب فلا مانع لدينا .

٢ـ الاستمرار في تنبيه الحواس العربية ـ الإسلامية ، وإيقاظ المشاعر العربية الإسلامية بأن فلسطين والقدس عربية ، ولا بد من العمل على استرداد الحق العربي ـ الإسلامي فيها .

٣ـ التأكيد والتركيز على بقاء الشعب الفلسطيني في القدس وجميع أجزاء فلسطين ودعم الانتفاضة الفلسطينية بكل الوسائل الممكنة من مال وغيره ، لإحباط الخطة الصهيونية بطرد الشعب الفلسطيني كله من فلسطين .

٤ـ ضرورة وضع استراتيجية عربية وإسلامية طويلة الأمد لتحرير القدس وفلسطين كلها ، وتكوين جيش قوي جداً لمجابهة إسرائيل .

٥ـ تحقيق تضامن عربي ـ إسلامي فعَّال ، سواء بين الحكومات أو الشعوب ، في سبيل تحرير الأرض المغتصبة ، ورد العدوان الباغي ، وحشد جميع الطاقات والإمكانات المناسبة ، للرد على التحالف الاستعماري ـ الصهيوني ، وتطويق سياساته ، وتحطيم مخططاته ، ولا نَعْدم الوسائل الكفيلة بتحقيق ذلك ، والإفادة من تجارب الشعوب المقهورة والمعتدى عليها ، ولو كانت ضعيفة مثل فيتنام وغيرها .

٦ـ استغلال كراهية الشعوب المختلفة لليهود ، والاعتماد على إشعاعات الحق والخير والعقل والسلام عند المنصفين والعلماء الأحرار في العالم كله .

والحمد لله رب العالمين

* * *